يقول العقاد فى كتابه «ساعات بين الكتب» إن خفايا نفس الإنسان هى قبلة الإنسان وغاية مايشغله . وكانت هذه العبارة تترجم عن الأسلوب الذى يتطلع اليه فى كتابة تراجم العظماء وكل نوع آخر من النشاط . وإذا قرأت آثار المازنى وجدت مايشبه هذه العبارة فى حصاد الهشيم . يقول المازنى الإنسان وجهة الإنسان ، وموضع عنايته . وليس أدل على مدنيته واستئناسه من حبه للترجمة والتاريخ ، وكلفه بهما على الرغم مما يدلى به لرد ذلك ودحضه .

لقد اختصرنا الطريق لنثبت شيئا واضحا ومهما هو أن مطامح المازنى العقلية ومطامح العقاد مشتركة فى سماتها الكبرى . والحقيقة أن المازنى وصف من خلال النماذج على نحو يختلف بعض الاختلاف ما كان يعوق هذه النزعة فى مجال تفهم الشعر وتقويمه . ذلك أن المازنى والعقاد جميعا كانا يتصوران كثيرا من الشعر على أنه ولع بانزعاج العقل . وهذه عبارة غريبة وردت فى كلام المازنى على حين وردت فى عبارات العقاد كلمات أخرى مثل الشعوذة والاستكراه .

كلمة العقل المنزعج لايمكن أن تؤخذ مأخذا سطحيا . وقد حاول المازنى على كل حال أن يكشف مايريده ، فوقف عند بعض الشعر الذى اطمأنت اليه أجيال من القراء . ولنأخذ هذا البيت الذى أزعج المازنى لنرى كيف يتصور العقبات العقلية التى تقف فى الطريق . يقول الشاعر :

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

المازنى يقف عند هذا البيت ليتبين كيف كان كثير من الشعراء يولعون بهذا الانزعاج الذى لايسفر عن نضج العاطفة . ويظهر أن الفجاجة العاطفية ومسألة الانزعاج تترادفان فى عقل المازنى والعقاد . وهذه ظاهرة يجب أن تعطى من أجل ذلك أهميتها . فإذا تذكرنا الكلمات الأولى اليسيرة عن إرادة الحياة وحفز النفس واستثارتها أمكن أن نعرف كيف يكون الانزعاج هو الاتجاه المضاد لما يطمح اليه ويتعشقه هذان الرائدان .

ومن المهم جدا أن نلاحظ ثورة الرائدين على الاستعمالات الشائعة فى أحاديث الناس من مثل جودة الألفاظ . أما كلمة المعانى فقد كان كلاهما يلاحظ أن إدراك جماهير الناس لفكرة المعنى يستقيم تماما مع ما يجعله المازنى ضربا من العجز عن رؤية الحياة رؤية شىء أليف . وهذه الملاحظة أعجب بها الدكتور مندور الذى يعتبر